من: سعد الحصين، إلى معالي الشيخ نصر الله به دينه.

بسم الله (من مجددي الدين: أحمد بن حنبل) ١٤٢٤/٤/٨

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة» وفي لفظ مسلم: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش». وعلى هذا فأولهم أبو بكر وبقية الخلفاء الراشدين ثم معاوية رضي الله عنهم جميعاً والخلفاء من بني أمية وآخرهم عمر بن عبد العزيز، وكلهم من التابعين رحمهم الله جميعاً.

وانتهى القرن الأول والثاني ولم تكن فتنة في الدين ومثلهما القرن الثالث غير خمس عشرة سنة في العقد الثالث والرابع منه في عهد المأمون والمعتصم ابني هارون الرشيد والواثق ابن المعتصم تجاوز الله عنهم ألزم العلماء بالمذهب الذي ابتدعه المعتزلة وسجنوا وجلدوا وقتل بعضهم، ومنعوا من تعليم المعتقد الصحيح المخالف للمعتزلة، وأبرزهم: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

ثم جاء الفاطميون بوثنية المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة وما دون ذلك من البدع فزينت الشياطين وسولت الأنفس الأمارة بالسوء لأكثر المنتمين للإسلام الافتتان بها دون أن يلزمهم الولاة بذلك، وبفضل الله لا أتذكر يوماً ألزم الناس فيه بالضلال بعد مشركي قريش في مكة (قبل الولاة العباسيين الثلاثة)، وملوك إسبانيا النصارى (بعدهم) إثر طرد بقية الولاة المسلمين من جنوب إسبانيا قبل (٥٢٠) سنة، أما اليوم فالدولة الإسبانية لا تكتفي بتضمين حرية الدين بل تحث المسلمين على الاجتماع (وعادتهم التفرق) للحصول على حقوقهم مثل بقية الأقليات في إسبانيا.

وروى الترمذي والحاكم: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» الصحيحة ١٨٧٤. واخترت الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من بين من جدد الله بهم دينه في القرون الخيرة ليكون أول من أضرب به المثل في التجديد والثبات على الحق والصبر والاحتساب، فرغم ما ناله من الأذى على يد ثلاثة من الخلفاء العباسيين جعلهم في حل منه ونهى عن الخروج عليهم.

ترجمته: (مما أورده ابن الجوزي في مناقبه والذهبي في السير)

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: (هو الإمام حقاً وشيخ

الإسلام صدقاً: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل [وذكر نسبه إلى بكر بن وائل الذهلي] الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام)، ولد عام ١٦٤ ومات عام ٢٤١ رحمه الله، ومما رواه الذهبي عن صالح عن أبيه من الطرائف: قال: (ثقبت أمي أذني وصيرت فيهما لؤلؤتين، فلما ترعرعت نزعتهما، فبعتهما بنحو من ثلاثين درهماً).
وروى المترجمون له أنه تزوج بعد الأربعين مرتين، وتسرى مرة أو مرتين، وولد له صالح من أم، وعبدالله من أم، وولدت له الجارية: الحسن والحسين، ثم الحسن، ثم محمداً، ثم سعيداً، ثم زينب، وكان عبدالله أكثرهم رواية عنه رحمهم الله جميعاً.
حملته أمه من (مرو بخراسان) وهو حمل في بطنها فولد في بغداد، وأصله بصري، وولي جده حنبل سرخس ومات والده قبل ولادته رحمهم الله جميعاً.
طلب الحديث وهو ابن ١٥ سنة في بغداد ثم رحل في طلبه إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة وصنعاء والشام والجزيرة.
وأول من أخذ عنه هشيم، ثم ابن عيينة وعبدالرزاق ومحمد ابن إدريس الشافعي ووكيع بن الجراح ويحيى القطان.
وذكروا نحواً من (٢٨٠) محدثاً.
وحدث عنه البخاري حديثاً وعن أحمد بن الحسن عنه حديثاً آخر، وحدث عنه مسلم وأبو داود بجملة وافرة، وروى أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه عن رجل عنه.
وحدث عنه الشافعي ولم يسمه بل قال: حدثني الثقة.
وحدث عنه عبدالرزاق وابن المديني وابن معين، وأمم سواهم.
وحدث عنه ابنه صالح، وابنه عبدالله فأكثر.

مصنفاته:
كان رحمه الله لا يرى الانشغال بالتأليف، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله.
وأعظم مصنفاته: (المسند، نحو ٣٠٠٠٠ حديث)، ومن غيره: (التاريخ) و(حديث شعبة) و(المقدم والمؤخر في القرآن) و(الزهد) و(الإيمان) و(نفي التشبيه) و(الرد على الزنادقة) وغيرها.

محنة القول بخلق القرآن:
بدأت المحنة في آخر عهد المأمون العباسي فهو أول من أظهر القول بخلق القرآن من ولاة المسلمين، فكتب إلى صاحب الشرطة ببغداد بامتحان الناس فامتحنهم (٢١٨هـ).

فأجاب أكثر العلماء فَرَقاً من الحبس والجلد غير أربعة وبعد أيام
في الحبس لم يبق غير الإمام أحمد ومحمد بن نوح رحمهما الله، ثم
جاء الأمر من المأمون بحملهما إليه في طرسوس فحملا مقيدين.
ومات ابن نوح في الطريق رحمه الله، وقبل أن يصل الإمام أحمد
إلى طرسوس جاء الخبر بموت المأمون عام ٢١٨ وأحمد محبوس
بالرّقة فرُدّ إلى بغداد وسجن إلى أن جاء المعتصم فامتحنه.
وكان المعتصم يوجّه إليه في كلّ يوم برجلين يمتحنانه فإن لم يجبهم
زادوا في أغلاله حتى أثقلته، وقال له إسحق بن إبراهيم صاحب
شرطة المعتصم: (إن الخليفة آلى على نفسه إن لم تجبه أن يضربك
ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس)،
وحُمل في أغلاله إلى مجلس المعتصم وفيه ابن أبي دؤاد وغيره من
المعتزلة فقال لهم المعتصم: (ناظروه، كلموه)، وكان الإمام
أحمد يقول لهم غالباً: (أعطوني شيئاً من كتاب الله عز وجل أو من
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وكانوا يهوّلون عليه ويخوفونه
وقُتل اثنان ممن لم يجيبوا، فما خاف الحبس ولا القتل، ولكنه
خاف على نفسه من الضرب بالسّياط أن يضعف فيجيبهم،
فقال له أحد من كان معه في الحبس: (إن هما إلا سوطان ثم
لا تدري أين يقع منك الضرب).
وفي اليوم الثالث أحضروه في مجلس المعتصم وناظروه فلم يجبهم،
فلما طال المجلس قال المعتصم: (ويحك يا أحمد، أجبني حتى أطلق
عنك بيدي) فردّ عليه نحواً مما قال، فقال المعتصم: (عليك اللعنة،
خذوه واسحبوه وخلّعوه) ثم جلس على كرسيّ وأمر بالسّياط والعقابين
وهما خشبتان يشبح الرجل بينهما للجلد، وقيّدت يداه فتخلعتا.
ثم قال المعتصم للجلادين: (تقدّموا) فتقدّم أحدهم وضربه سوطين
فقال المعتصم: (شُدّ قطع الله يدك) فلما ضرب الإمام (١٩) سوطاً
قام إليه المعتصم فقال: (يا أحمد، علامَ تقتل نفسك؟ إني والله عليك
لشفيق) والإمام يقول: (أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله)
فجلس المعتصم وقال للجلّاد: (تقدّم، أوجِعْ قطع الله يدك) قال
الإمام أحمد رحمه الله: (فضُربت حتى ذهب عقلي، فأفقت بعد
ذلك فإذا الأغلال قد أطلقت عنّي، وأتوني بسويق فقلت:
لست أفطر) وصلى الظهر والدّم يسيل في ثيابه، فمكث في
السّجن ثمانية وعشرين شهراً. ولم يزل رحمه الله يتوجّع، وكان
أثر الضرب بيّناً في ظهره إلى أن توفي رحمه الله وأحلّ المعتصم من ضربه.

ثم ولي الخلافة الواثق بعد أبيه المعتصم وامتحن الناس بالقول بخلق القرآن، ولكنه لم يتعرض لأحمد إما لما علم من صبره أو خوفا من عقاب الله، ولكنه أرسل إلى الإمام أحمد: أن لا تساكني بأرض، فاختفى الإمام أحمد حتى مات الواثق.

ثم ولي الخلافة المتوكل رحمه الله فأظهر الله به السنّة وأمات به البدعة، وكشف به تلك الغمة، وأمر بتسيير الإمام أحمد إليه وإلى أن مات أحمد قلّ يوم يمضي إلا ويأتيه رسول المتوكل.

خلقه:

بالغ الناس في ذكر زهده وورعه وتواضعه وتعبّده وخوفه من الله، وحلمه، وعفوه عمن ظلمه عدا ابن أبي دؤاد لدعوته إلى الباطل وتأليبه الولاة على من خالف معتقده المبتدع.

وأعجبني ما نقل عنه أنه ذكر له أبو كريب، فقال: اكتبوا عنه فإنه شيخ صالح، فذكر له أنه يطعن عليه، فقال: (وأي شيء حيلتي، شيخ صالح قد بلي بي) فليتخذه السلفيون قدوة.

مذهبه:

قد يعدّ الإمام أحمد رحمه الله محدّثا أكثر مما يعدّ فقيها مقارنة بمن سبقه من الأئمة الأربعة رحمهم الله الذين تمذهب خلق بمذهب أحدهم في الدين (أحكام العبادات والمعاملات بخاصة) بعد القرون الخيّرة، وكان نصيب الإمام أبي حنيفة الأكثر ونصيب الإمام أحمد الأقل، وكان المقلّدون من العلماء - فضلا عن العوام - ينتمي إلى مذهب الإمام أبي حنيفة في أحكام العبادات والمعاملات، وإلى مذهب الأشاعرة في الاعتقاد، وإلى طريقة النقشبندية في السلوك أو التصوّف - مثلاً -.

ولكنّ الله عوّض فقه الإمام أحمد رحمه الله بالدعوة السلفيّة إلى صحيح المعتقد وصحيح السنّة في العبادات والمعاملات التي منّ الله الدولة السعودية باحتضانها وتعليمها والحكم بها في بلادها السعوديّة منذ منتصف القرن الثاني عشر في مراحل حكمها الثلاث وجدّد الله بها الدين في كل قرن من القرون الثلاثة الأخيرة إلى هذا اليوم بفضل الله ورحمته.

قد لا يقبل المبتدع حكم السلفيّ على الدعوة والدولة السلفيّة فما قولهم في حكم باحث غير سلفيّ من كبار مشايخ الأزهر البعيد عن منهاج السلف منذ أسسه الفاطميون

على مذهبهم الشيعي ثم نقلهم الأيوبيّون إلى مذهبهم الشافعي قبل نحو تسعة قرون، وكلاهما بعيد عن الانتماء للسّلفية:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله الذي كتب عن كلّ واحد من (الأئمة الأربعة) في كتابه بعنوان: (أحمد بن حنبل):

(وإذا كان هذا المذهب الجليل [الحنبلي] قد فقد الأتباع في الماضي فإن الله سبحانه وتعالى قد عوّضه في الحاضر.

وذلك أنّ [المملكة العربية السّعوديّة] تسير حكومتها في أقضيتها وعباداتها [وعقيدتها] على مقتضى أحكامه.

وكان ذلك تعويضاً كريماً وإخلافاً حسناً لأنّ [السّعوديّة] تطبّق الشريعة الإسلاميّة في كلّ أقضيتها، بل إنها تطبّق أحكام الحدود والقصاص تطبيقاً صحيحاً كاملاً، فالحدود فيها قائمة ومعالم الشريعة فيها معلنة... وبذلك قامت دولة الشريعة محكمة البنيان ثابتة الأركان تعلن للناس في كلّ البقاع والأصقاع أنها خير شريعة أخرجت للنّاس...

وقد كان ذلك المذهب هو مذهب آل سعود، وإنما كان هؤلاء حنابلة اعتنقوا في العقائد والفقه مذهب محمد ابن عبد الوهاب، وهو يعتنق مذهب ابن تيمية في في العقائد والفقه، ومذهب ابن تيمية في العقائد هو مذهب جمهور المسلمين، وهو يمنع التّوسّل والتّقرب بالموتى ولو كانوا من أهل الصّلاح والتّقوى في حياتهم، ومذهبه في الفقه هو مذهب الإمام [أحمد بن حنبل] مع بعض مسائل أفتى بها ولم يكن فيها مقلداً لأحد بل كان متّبعاً لكتاب الله وسنة رسوله) ص ٢٥٦ و٢٥٧.

سامحك الله يا علّامة مصر، لقد نطقت بما خرست عنه ألسنة السّلفيّين في بلاد الشّام والعراق ومصر والسّودان والمغرب العربي وبلاد المسلمين فضلاً عن غيرهم إلا نادراً خشية لوم اللائمين من الحركيّين والفكريّين والحزبيّين.

وما أثبتّه هنا وهو قليل من كثير مما ميّز الله به الإمام أحمد (محنته ومسنده بخاصة) هو ما جعلني أتقرب إلى الله بالدّعاء له كلّ ليلة قبل كل علماء الأمّة، وهو ما حبّب إليّ وضع موجز سيرته في موقعي ورابطاً بمسنده الذي طبعته جمعية المكنز الإسلامي في لختنشتاين ودلّني عليه د. محمد بن عبد الكريم ابن عبيد، وأهداني نسخة منه م. عدنان بوقري، وفقهم الله لرضاه.